مجلة المحترف لعلوم الرياضة و العلوم الانسانية و الاجتماعية
المجلد (09) العدد (03) السنة (2022)
الصفحة 317-303

التّمثيل السّرديّ للموريسكيّ في الرّواية العربيّة المعاصرة، رواية "الموريسكيّ الأخير" للكاتب "صبحي موسى" أنموذجا.

The narrative representation of the Morisco in the contemporary Arabic novel, The novel "The Last Moorish" by the writer "Subhi Moussa" as a model.

إبتسام مزرق

جامعة "محمّد الصّدّيق بن يحيى" – جيجل (الجزائر)،

ibtissem.mezerreg@univ-jijel.dz

معلومات البحث

تاريخ الاستلام: 2022/02/28
تاريخ القبول:2022/06/18

Printed ISSN: 2352-989X
Online ISSN: 2602-6856

الملخص:

لا يستطيع أحد من المؤرّخين والدّارسين للوجود الإسلاميّ في الأندلس أن يُنكر ما تعرّض له الموريسكيّون من اِضطهاد بعد سقوط غرناطة، آخر معاقل المسلمين في إسبانيا سنة 1492 م، ولقد حاولت بعض الأعمال الرّوائيّة المعاصرة أن تَرصُد صورة الموريسكيّين، وتكشف عن مشاهد من حياتهم، ومن بين هذه الأعمال الرّوائيّة، رواية "الموريسكيّ الأخير" للكاتب المصريّ صبحي موسى؛ حيث تحاول هذه الورقة البحثيّة تسليط الضّوء على حضور الموريسكيّ وتمثُّلاته في هذه الرّواية.

الكلمات المفتاحية: الأندلس، الموريسكيّ الأخير، صبحي موسى، غرناطة.

ABSTRACT

None of the historians and scholars of the Islamic existence in Andalusia can deny the persecution of the Moriscos after the fall of Granada, the last Muslim's strongholds in Spain in 1492 AD. Some modern novel works have tried to describe the Morisco's image, and to reveal a part of their lives, "The last Moorish novel" (Almuriski Alakhir) by the Egyptian writer Sobhi Moussa is one of these novel works which attempts to spot light on the presence of the Moorish and its representations.

Keywords: Andalusia, The last Moorish, Sobhi Moussa, Granada.

مقدمة:

تُعَدُّ الرّواية أكثر الأجناس الأدبيّة رواجا وإستقطابا وبروزا على السّاحة الأدبيّة في العصر الحديث، وأكثرها اِنفتاحا على التّراث، وعلى المرجعيّات الثّقافيّة المختلفة، وهذا ناتج عن طبيعتها الحواريّة، الّتي جعلت منها فنّا قابلا لِاحتواء سجلّات متعدّدة، وخطابات متنوّعة، وأجناس أدبيّة وغير أدبيّة، وفضاءً رحبا، يتّسع بمشارب معرفيّة وثقافيّة، راسما عالمه الخياليّ، اِنطلاقا من روافد شـــكّلت منطلقا للتّعبير عن رهانات ورؤى جديدة، ويشـــكّل التّاريخ جزءا كبيرا من هذه المرجعيّات، خاصّـة وأنّه يمثّل الذّاكرة الّتي يمكن من خلالها للحاضـر أن يحاور الماضـي، حتّى يعيد الاِعتبار لوقائع تحتاج إلى قراءة جديدة، بوعي جديد، وقضـيّة الموريســكيّين هي واحدة من أهمّ القضــايا الّتي أثارت اِهتمام الرّوائيّين، الّذين تناولوا بشكل فنّيّ حياة هذه الأقلّيّة المضطهدة، وما عاشته من أحداث ونضال، من أجل اِسترجاع مجدها الضّائع.

وصــبحي موســى من خلال عمله الرّوائي "الموريســكيّ الأخير"، يخرج – في ثنائيّة محبوكة ســرديّا – إلى عصــرنا الحاضـر، بعد أن غاص في أجواء محاكم التّفتيش، فمزج بين ثورة الموريسـكيّين هناك في عمق الماضـي الأندلسـيّ، وبين الواقع السّياسـيّ العربيّ الحاليّ في مصـر إبّان ثورة 25 يناير، وبين الماضي والحاضـر تسـير منعرجات الرّواية، وكلّ منعرَج يحمل من القيمة الفنّيّة والتّاريخيّة الشّيء الكثير، بالقدر الّذي يساهم في إعطاء هذه الفئة ما تستحقّ من مكانة، خاصّة وأنّ هناك أصواتا لازالت تطالب بمنحها حقّها الّذي سُلب منها.

ولهذا يسعى هذا المقال الى الكشف عن تمثّلات الموريسكي وحضوره في هذا العمل الروائي انطلاقا من الإشكالية التالية:

كيف اِستطاع الرّوائيّ صبحي موسى أن يتوغّل في مسالك تاريخيّة بطريقة فنّيّة؛ ليُبرزَ من خلالها صورة الموريسكيّ في ظلّ تغيّرات المواقف والأحداث؟ وما هي تمظهرات ذلك في عمله الرّوائيّ "الموريسكيّ الأخير"؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية تمّ الاعتماد على المنهج السّيميائيّ؛ لأنّ هذا النّوع من السّرد يثير أسئلة عديدة حول إيحاءاته الدّلاليّة، مادام النّصّ الرّوائيّ يمتنع عن البوح بمكنوناته بشــكل تقريريّ؛ وهذا بســبب تداخل هيئاته السّــاردة واِنتقالها من هيئة إلى أخرى، وقراءته عموما تتطلّب فعلا تأويليّا؛ وذلك لإعادة بناء المعاني وربط بعضها ببعض، خاصّة ما تعلّق منها بشـخصـيّة الموريسـكيّ. إلى جانب المنهج الوصـفيّ والتّحليليّ؛ للكشـف عن التّعالق والتّداخل الفنّيّ بين أحداث تاريخيّة في سياقات مختلفة، وتقديم قراءة تاريخيّة بأبعاد زمنيّة متعدّدة.

2. الخلفيّة اللّغويّة والتّاريخيّة لمصطلح "الموريسكيّ"

1.2 الخلفيّة اللّغويّة لمصطلح "الموريسكيّ"

ظهر مصطلح الموريسكي في جو من التهميش والإقصاء والتّمييز والتّصغير للمسلم الّذي عمّر في الأندلس لمدة طويلة، لينقلب عزه ومجده الى ذل وهوانٍ، فيشعر بالاغتراب على أرض ألفها وأسّس على صرحها أعظم حضارة إسلامية، ليشار إليه في الأخير بلفظة "موريسكي". ومنه كان لابد من الكشف عن مفهوم هذا المصطلح وخلفيته اللغوية.

تعدّدت التّعريفات وإختلفت لمفهوم مصطلح "الموريسكيّين" أو "الموريسكيّ" المتداول في التّاريخ العربيّ الإسلاميّ من باحث لآخر.

فحسب موسوعة التّاريخ الإسلاميّ فإنّ الموريسكيّ تصغير لكلمة "المورو" (Moro)، والمقصود بها أفراد الشّعب المسلم، الّذي ظلّ موجودا في إسبانيا ويخضع لحكم الملكيْن الكاثوليكيّيْن بعد سقوط غرناطة بين أيديهما (لكحل و كرّوم، 2008، صفحة 122)، ولقد قصدوا بذلك التّصغير والإهانة، إحالة منهم إلى سقوط الحضارة الإسلاميّة في الأندلس.

أمّا في قاموس التّاريخ الإسبانيّ فإنّ كلمة "موريسكيّين" تعني مسيحيّي إسبانيا، الّذين تنصّروا بالقوّة بداية من القرن السّادس عشر، ولفظ "Morisco" هو تصغير لكلمة "Moro"، ويُقصَد به الإساءة للمسلم العربيّ والمغربيّ، وخاصّة من يقطن بموريتانيا وطنجة، لذلك فإنّ ترجمة "Morisco" تعني "المسلمين المنبوذين" (لكحل و كرّوم، 2008، صفحة 122)، فالموريسكيّون أو الموريسكوس مصطلح إسبانيّ إختلف الدّارسون والمؤرّخون في تحديد معناه وإشتقاقاته، ولكن بالمقابل، نجد أنّ الكثير منهم ترجم أصل هذه الكلمة إلى اللّاتينيّة المشتقّة من كلمة "موري" (Mauri) الّتي تُطلَق على أصحاب البشرة السّوداء، وأصلها مشتقّ من الكلمة الإغريقيّة "Amaurus"، ومنها إشتُقّت كلمة "مورو" (Moro)، ويُقصَد بها شديد السُّمرة (لكحل و كرّوم، 2008، صفحة 122).

ويقول خوليو باروخا أنّ المصطلح مشتقّ من اللّاتينيّة "Mauriscus" أو "Mauriskus"، وهناك أيضا مصطلح في الرّومانيّة العامّيّة يحمل هذا المعنى، وهو "Mauriscus"، ويُستخدَم في تعريف المسلمين "Mairo"، ولقد إستُخدِمت كلمة "موريسكيّ" لأوّل مرّة – كمصطلح وكلمة تعبّر عن الباقي من المسلمين في إسبانيا بعد سقوط الأندلس، وذلك يوم 02 سبتمبر 1523م – من طرف المجلس البلديّ لمحافظة بياشة، عندما أصدر أمرا بتقديم النّبيذ للموريسكيّين في الحانات والبارات والفنادق (مبروك، 2019/2018، صفحة 28)، ليتحوّل بعد ذلك هذا المصطلح من صفة إلى إسم، فلم يَعُدْ يُقصَد به المدلول الدّينيّ فحسب بل هو أشمل، فقد تحوّل إلى تسمية لحضارة وثقافة مختلفة تماما عن ثقافة المسيحيّين، وأصبح يُطلَق حينها على المسلمين المتنصّرين الجدد، وكان لهذا المعنى إمتداد في الإستعمال

الشّعبيّ، الّذي كان يشير به إلى المسيحيّ الجديد والمدجّن، والّذي تنصّر عنوة، ظاهرا وليس باطنا، وذلك بإعتماده على مبدأ التّقيّة (مبروك، 2019/2018، صفحة 29).

2.2 الخلفيّة التّاريخيّة لمصطلح "الموريسكيّ"

منذ 1526م، تحوّل كلّ مدجّن إلى موريسكيّ؛ حيث شهدت هذه السّنة على الأخصّ إخضاع المدجّنين – الّذين فضّلوا البقاء على أراضيهم – للحكم المسيحيّ، بالرّغم من أنّه لم يكن هناك فرق في التّعامل مع المسلمين والمسيحيّين قبل 02 يناير 1492م، بل كان هناك تسامح وتعايش بين مختلف الطّوائف في ظلّ الحكم الإسلاميّ في الأندلس خلال قرون طويلة منذ فتحها، إلّا أنّه ومنذ سقوط غرناطة وتسليمها للملكيْن الكاثوليكيّيْن "فرديناند" و"إيزابيلّا"، بدأ المسلمون يتعرّضون لكلّ أنواع التّعذيب والمضايقة الدّينيّة، فلم يَعُدْ يُعترَف بأبسط حقوقهم في المنطقة، وزاد البطش بهم والعنف ضدّهم، فأصبح حكم القويّ على الأغلبيّة المسلمة، وتقلّصت وظائفهم، فلم يَعُدْ يُسمَح لهم بالإدارة وتدبير شؤون الحكم في البلاد في هذه الفترة، لدرجة أنّ السّلطات الكاثوليكيّة حرمت في هذه الفترة المدجّنين من شراء وإمتلاك الأراضي، وذلك بغرض تعميرها بالعناصر المسيحيّة ورغبتها في طرد المسلمين من المجتمع الأندلسيّ وتقويض ممتلكاتهم (عبد الكريم، 1997، صفحة 10).

ومن مظاهر ذلك: فرض ضرائب باهضة على المدجّنين بين سنتي 1490 و1499م، وإجبارهم على التّنصّر عنوة، كما حدث مع المدجّنين السّياسيّين بـ: غرناطة، الّذين ثاروا ضدّ الأوضاع السّائدة وضدّ حملة التّنصير الإجباريّة، فتدخّل ممثّل أسقف غرناطة "فراي إيرناندو دي طلبيرة" لتهدئتهم ومنع ثورتهم بإقتراح العفو مقابل إلقاء السّلاح والدّخول في الدّيانة المسيحيّة (عبد الكريم، 1997، صفحة 11).

وهناك إجماع عامّ حول الفترات الثّلاث للصّراع المسيحيّ – الموريسكيّ، وقد تضمّنت كلّ فترة أحداثا حاسمة في تاريخ كلا الطّرفين، فالأولى: مثّلت القطيعة الرّسميّة مع التّعايش الّذي ميّز العصور الوسطى، والثّانية: سجّلت إستحالة إيجاد طرق للتّفاهم بين الطّرفين، أمّا الثّالثة: فصادقت على إنتصار الكاثوليكيّة الإقتصاديّة في إسبانيا، والإنتقال من الثّنائيّة إلى الوحدة؛ حيث قامت هذه الفترات على ثلاثة أحداث حاسمة: تنصّر المدجّنين القشتاليّين (1500–1582م) وثورة الموريسكيّين الغرناطيّين (1568–1570م) والطّرد العامّ (1609–1614م) (أورتيث و فانسون، 2013، صفحة 19).

لقد بدأ التّنصير الجماعيّ للمسلمين، وكان ذلك نتيجة لسلسلة طويلة من الأحداث، تغيّر عبرها وضع أولائك الأشخاص من مسلمين إلى مدجّنين ثمّ إلى موريسكيّين، فقد بدأ تاريخ الموريسكيّين منذ سقوط غرناطة آخر معاقل المسلمين في الأندلس، والّتي ضعفت بعد محمّد الغنيّ بالله، وتعاقب على العرش ملوك ضعفاء، إنتشرت بينهم الفتن والخلافات لتشتعل نار الحروب الأهليّة، والّتي أدّت إلى تقويض حكم المسلمين بها؛ حيث سقطت غرناطة أيّام أبي الحجّاج يوسف الثّاني، ليستولي بعدها ملك قشتالة على مدينة الزّهراء المجاورة لـ: غرناطة سنة 1417م، ويتحالف بعدها كلّ من الملك فرديناند الرّابع ملك أراغون وإيزابيلّا الثّانية ملكة قشتالة للقضاء على ما تبقّى من المسلمين في شبه

الجزيرة الإيبيريّة، في الوقت الّذي تولّى فيه أبو عبد الله حكم غرناطة "Boabdil" (أورتيث و فانســـون، 2013، صــفحة 28)، والّذي كان على خلاف مع عمّه أبي عبد الله محمّد بن ســعد، وهذا الجوّ من التّشــاحنات والنّزاعات بينهما جعلهما ينشـغلان عن عدوّهما، وهي الفرصـة الّتي لم يفوّتها الملكان الكاثوليكيّان فرناندو وإيزابيلّا للسّـيطرة على غرناطة، وهو ما اِنتهى إليه الأمر؛ حيث وقّع أبو عبد الله على معاهدة لتســـليم المدينة في شـــهر نوفمبر من عام 1491م، ودخل الملكان الكاثوليكيّان غرناطة في 02 يناير 1492م، ليُدخِلا معهما الويل والدّمار والمحق للمسلمين، فكانت هذه المحطّة التّاريخيّة حاسمة في التّاريخ الإسلاميّ، وبداية مأساة حقيقيّة لمسلمي المنطقة؛ حيث نقض الإسبان ما جاء في المعاهدة وبدؤوا في اِضـطهاد الموريسـكيّين، بالرّغم من الاِحتجاج والتّمرّد الإسـلاميّ من خلال القيام بثورات، ولكنّ الأمر اِنتهى بطردهم نهائيّا من الأندلس ســنة 1609م في عهد الملك فيليب الرّابع (مبروك، 2019/2018، صفحة 34).

3. تمظهرات الاِنكسار الموريسكيّ في رواية "الموريسكيّ الأخير" لـ "صبحي موسى"

1.3 الموريسكيّ المضطهد

عاش الموريسكيّون بعد سقوط غرناطة – آخر معاقل المسلمين بالأندلس – حالة من الفزع وهم يشاهدون مفاتيح عزهم وملكهم تسـلم للإسـبان المسـيحيين، وكان هذا كفيلا بأن يدخلوا في دوامة من الحزن والأسـى واليأس والإحباط النفسي، إلى جانب التعذيب الجسدي الّذي سُلّط عليهم من كل جهة في ظل الحكم المسيحي، ليكتمل عندهم مشهد الاِضـطهاد؛ حيث كشـفت رواية "الموريسـكيّ الأخير" عن هذه الجوانب الأليمة من حياة الموريسـكيّين، كما كشـفت عن هذا الاِضطهاد الّذي عاشوه، خاصّة وأنّ نسبة نموّهم تفوق نسبة نموّ الإسبان (فراحتيّة، 2016/2015، صفحة 52)، لاسـيما في ظلّ حملة التّنصـير ومحاكم التّفتيش، «الّتي بدأت عملها منذ زمن في غرناطة، ولم يكن لقُضـاتها همٌّ سوى البحث في ضـمائر من ورثوهم عن آبائهم من المسـلمين، حتّى وإن تنصّروا على أيديهم، كانوا يبحثون عن دليل إدانة في الزّيّ أو الكلام أو الممتلكات؛ كي يسلبوهم أموالهم وأرواحهم» (موسى، 2015، صفحة 14)، مثلما فعلوا مع العجوز الّذي صاح في وجوههم قائلا: «لست نصرانيّا ولا يشرّفني أن أنتمي لدين يضمّ أمثالكم»، ليتعرّض لهجوم وضـرب عنيف من طرف رجال الشّـرطة، وفي هذا الوقت خرج شـرطيّ بصـحبة قسّ من الكنيسـة، فاِبتسـم القسّ وهو يعرف عبد الله بن جهور أكثر ممّا يعرف آباءه، ودون أن يهتمّ لمصابِه طلب من رجال الشّرطة أن يجرّدوه من لباسه وهم يصـرخون «إنّه مختون، إنّه مسـلم» (موسـى، 2015، صـفحة 13)، ثمّ صُـلِبَ على شـجرة أمام الكنيسـة وبقي حتّى وهنت قواه، وأخذ يفرّق النّاس الّذين تجمّعوا حوله، ولم يكن خلاصـــه ممكنا إلّا إذا شـــفع به ذلك القسّ العفن اللّعين إيمانويل، ولهذا، لجأت إليه عائشـــة زوجة عبد الله بن جهور حتّى يخلّص زوجها من حكم قاضـــي التّفتيش في غرناطة، وهذا الأخير كان راغبا في لقاء هذه المرأة الّتي لطالما أُعجِب بها، ولهذا كان يزور الحيّ الّذي تقيم فيه بِاسـتمرار بدعوى التّفتيش، وهنا اِغتنم الفرصـة وطلب مقابلا لهذه الخدمة قائلا: «لكلّ شـيء ثمن، ولم تبقَ سـوى بضـع سـاعات قبل أن يأتيَ جنود الرّئيس ديسا في الصّباح، وبعدها لا يملك القسّ الجالس أمامك الآن أن ينفع عائلتك بشيء ممّا تحلمين به» (موسى، 2015، صفحة 15)، فخلّصت زوجها ولكنّها دفعت روحها ثمنا لذلك، فبعد ثلاثة أيّام وجدوا جثّتها طافية

على وجه ماء جدول في قرية بعيدة، ليظلّ زوجها جسدا بلا روح، لا يهتمّ حتّى بتنظيف جراحه، بل اِنزوى في ركن من حجرة الجلوس ليدفن نفسه فيه، ويظلّ اِبنه ليردّد له ما قالته أمّه وهو يتّجه لجلبه من أمام الكنيسة؛ حيث كان مصلوبا على الشّجرة: «إنّ حياتك بقاء لمن مات وموتك بقاء لمن أجرم» (موسى، 2015، صفحة 16).

فما أقسى العذاب الجسديّ والنّفسيّ الّذي عاشه الموريسكيّ اِبن جهور وزوجته عائشة واِبنه! إنّها صورة لمأساة عائلة تُلخِّص الصّراع المرير للعائلات الموريسكيّة الّتي صارت تعيش في الجحيم، حتّى إنّ عبارة "موريسكيّ" كفيلة بأن تجعل أيّ شخص ينصهر في بوتقة من العذاب والهلاك بعد أن تَحِلَّ عليه اللّعنة، ولم يكن أمام المسلمين إلّا التّنصّر للخلاص والحصول على بركة القسّ إيمانويل، الّذي كان يرشّ النّاس بماء مقدّس، وكان فرناندو حاضرا في أحد الطّوابير الّتي كانت تقف في اِنتظار هذا القسّ، ولكنّه عاد إلى البيت مسرعا ليغسل بالماء السّاخن ما عَلِقَ به من أدران وما تنقّط به من قطرات ماء، وأخذ يسرد على عمّه اِبن جهور كلّ ما يحدث في الخارج، فيتقلّب هذا الأخير في مكانه وهو يشعر بإنكسار شديد، وفي داخله تكوّنت شعلة من الغضب يريد أن يحرق بها كلّ هؤلاء الفاسدين، ومن جهة أخرى نجد أنّ الفلّاحين الموريسكيّين وأرباب الحرف قد صاروا يتركون أعمالهم وحقولهم هربا من الضّرائب الّتي فُرضت عليهم. فما حلّ بهم يُعَدُّ أفظع مأساة إنسانيّة عرفها التّاريخ البشريّ على الإطلاق (صديقي، 2017، صفحة 91).

2.3 الموريسكيّ المشتّت

أمر الملك فيليب الثّالث – والّذي وُصِفَ بأنّه جالينوس كاثوليكيّ، عُهِدَتْ إليه مهمّة تطهير إسبانيا– (بن الشّريف، 2015) بترحيل الموريسكيّين، بمقتضى المرسوم الّذي أصدره في 09 أفريل 1609 (مبروك، 2019/2018، صفحة 34)، فوجد الموريسكيّون أنفسهم أمام قرار ظالم ومصير مجهول، فعليهم أن يشُدّوا الرّحال نحو وجهة معلومة أو مجهولة، وعليهم أن يسلُكوا أغوار المتاهة الّتي سيضيعون بين شِعابها وهم يبحثون عن ضالّتهم بعد اِغترابهم، تاركين وراءهم إرثا وتاريخا لا يقوى الزّمن على محوهما، ولا يقوى الإسبانيّ على هدمهما أو إلغائهما، فإن تبدّت لهم الوجهة الجغرافيّة – وهذا أهون عليهم – فقد غاصت ذاتهم في الضّبابيّة وتوارت عنهم الأنظار فتشتّتوا وضاعوا وهم يغادرون هذه الأرض الّتي منحتهم الإستقرار والخلود والمجد العظيم.

وتتجلّى صورة الموريسكيّ المشتّت في هذه الرّواية في شخصيّة مراد، هذا الموريسكيّ الّذي يعيش مع جدّته المقعَدة في بيت عتيق، والشّاهد على أحداث 20 يونيو في ميدان التّحرير بمصر؛ حيث اِرتفعت الأصوات مطالبة برحيل الزّعيم، لقد كان يشعر بينهم بالاِغتراب، فهو في نظرهم الموريسكيّ الّذي لا يعرف معنى الصّلاة، والّذي يحتاج إلى الدّخول في الدّين من جديد، بل إنّ بعضهم تعنّت في موقفه ونظر إليه كعدوّ، فالجميع قد قرّروا التّعامل معه كجنس ثالث، أكثر ما يمكن تقديمه إليه هو الحياد، ولم يكن أمامه سوى أن ينسحب من الحياة، وأن يجلس في بيته، مكتفيا بقراءة الجريدة (موسى، 2015، صفحة 19)، أو يتّجه نحو جدّته الّتي تُهلِكه بالكلام، فقد رحل الجميع عنها، ولم يبقَ لها سوى ذاكرة أصبحت وقودها الوحيد في الحياة، أو التّأمّل في ذلك الشّيخ العجوز الّذي يصادفه؛ حيث كان يُثير في نفسه الخوف والذّعر والحيرة، وكأنّه العين الرّاعية الّتي تحميه، أو أنّه الجسر الّذي يأخذه إلى الماضي، فيدفع به ليبحث في

تلافيف الذّاكرة عن هويّته الّتي فقدها في خضمّ الأحداث المتسارعة الّتي عاشها، فـــ: عبد الله بن جهور يعود بشبحه، فيقف وجها لوجه أمام هذا الحفيد، وكأنّه يريده ألّا ينسى تاريخ أجداده وأن يسعى لِاسترجاع حقّه المسلوب.

ولهذا، أكّد بعض الباحثين في حفل توقيع ومناقشـــة رواية "الموريســـكيّ الأخير" أنّ هذه الرّواية هي رواية متاهة بِامتياز؛ لأنّ فيها رصد وتجسيد لتلك المتاهات الزّمانيّة والمكانيّة والوجوديّة، وخاصّة تلك المتعلّقة بالهويّة، الّتي وقع فيها الموريســـكيّون؛ حيث وقعوا في براثن متاهة السّـــلالة والوجود والهويّة الضّـــائعة بين عالميْن أو وجوديْن، عالم ينتمي إلى الماضي والمجد والرّفعة والسّموّ، وعالم ينتمي إلى الحاضر والضّياع والمتاهة، وفي ما بين هذين العالميْن تتوالى فصول الرّواية، وتتوالى الأحداث، وتتوالى التّفاعلات بين الشّخصيّات، وتنفتح بوّابات الذّاكرة، وتنهمر الأخيِلة والأحلام والتّحوّلات، مثل: تحوّلات البشـر إلى قطط والقطط إلى بشـر، وتحوّلات ظهور العين الرّاعية، فمع سـقوط غرناطة بدأت المتاهة الّتي وقع فيها عبد الله بن جهور، والمتاهة الّتي وقع فيها اِبنه محمّد، فـــ: عبد الله بن جهور حاول أن يخرج من المتاهة، فقاد ثورة البشرات، الّتي اِستمرّت حوالي ثلاث سنوات، والّتي حاول من خلالها تأسيس دولة مستقلّة، أمّا المتاهة الّتي وقع فيها اِبنه محمّد، فحاول أن يخرج منها بالنّحت وصناعة تماثيل، وتسجيل تاريخ العائلة، والمكان والأزياء والعِمارة ...

وأمّا المتاهة الّتي وقع فيها حبيب الله، وهو واحد من السّـلالة في فترة محمّد علي، فقد غدر به الأحبّة والصّـحابة، حتّى اِكتشف نعمة التّسامح. وهذا ما يجعلنا ندرك أنّ الموريسكيّين عاشوا في دوّامة الشّتات وعدم الاِستقرار، بداية من إبعادهم القسـريّ عن أرضـهم، الّتي تركوا معها هويّتهم وكلّ الثّوابت الّتي أرسـت دعائم شـخصـيّتهم، منذ قرار المجلس الملكيّ في الخامس من مارس 1570 إقصاء كلّ الموريسكيّين من غرناطة، ثمّ توالى إقصاؤهم من مناطق أخرى (حتامله، 1982، صفحة 89).

4. تمظهرات الصّمود الموريسكيّ في رواية "الموريسكيّ الأخير" لـ "صبحي موسى"

1.4 الموريسكيّ المقاوم

لم يسـتسـلم المورسـكيون وهم يفقدون فردوسـهم، بل إنّهم فدوه بكل ما يملكون من الأرواح والممتلكات، حيث تفرقوا في الجبال، وقاموا بثورات ظل التاريخ شاهدا عليها، مثل ثورة " البشرات". لكنهم كانوا شتاتا وأقليّة معزولة، قليلة العدّة والعدد، فلقد تولّد لدى الموريســـكيّ وعي بهذا الواقع، وتولّدت معه روح المقاومة الرّافضـــة لأيّ نوع من أنواع الاِنسـلاخ، الأمر الّذي دفع بهذه الأقلّيّات المضـطهَدة إلى الولوج في متاهات وصـراعات ومقاومات شـعبيّة، وتُعَدُّ "ثورة البشـرات" من أهمّ الثّورات الّتي كانت ضـدّ الحكم الإسـبانيّ قاطبة، وكانت إرهاصـاتها الأولى عام 1566 وبدايتها الحقيقيّة عام 1568.

لم يكن من السّهل أن يدافع الموريسكيّ عن نفسه من أشكال الظّلم والتّعذيب والإهانة الّتي سُلِّطت عليه، ولكنّه بالمقابل ليس من شـيمه الاِسـتسـلام والخنوع والخضـوع لمن اِعتدى عليه وعلى حُرُماته؛ ولهذا قاوم بكلّ ما أوتيَ من قوّة وحيلة. وقد رصد الرّوائيّ صبحي موسى هذه الرّوح القتاليّة والحَميّة من خلال بعض الشّخصيّات، منها: محمّد بن عبّو،

وهو قائد لجيش اِبن أميّة، والّذي كان يُخيِّم بـــطاعة أجاجير البشرات؛ حيث كان يستعدّ هو وعدد من قوّاده لتحرير ثلاث قرى على سواحل مالقة، هذا إلى جانب شخصيّة فرناندو ومحمّد بن عبد الله بن جهور؛ حيث اِلتحقا باِبن عبّو في معسكره، وكان سعيدا بـ محمّد بن عبد الله بن جهور، وهذا لأنّ والده لم يكن مجرّد دعم، بل كان أبا للجميع، ولولاه لما كانت البشرات (موسى، 2015، صفحة 126)، كما أنّه كان بحاجة إلى كاتب موثوق به يساهم في تأسيس مُلْكٍ تقوده العقول البصـــيرة، وخاصّـــة أنّ محمّد بن عبد الله بن جهور كان يجيد الكتابة بالعربيّة والقشـــتاليّة وبعض التّركيّة واللّاتينيّة، كما يجيد الحديث بها، ويُتقن الرّسم والنّحت، ويفهم في البناء والعمارة وتزيينها، فقد تعلّم ذلك في ورشة العمّ بديث بطليطلة، حتّى صار يشتهر في طلاء وتزيين القصور والكنائس والبيوت.

وكم كان يَعِزُّ عليه ترك العمّ بديث والتّخلّي عن أرملة اِبنه، وهو الّذي أقام عنده مدّة من الزّمن، وكان له بمثابة الأب، ولكنّ نداء الأرض كان أقوى، وطَنِينُ الثّورات كان أعنف في نفسه، ولهذا فضّل البقاء مع اِبن عبّو.

لقد حاول اِبن أميّة اِستنهاض هم المسـلمين، فراح يخطب فيهم ويحدّثهم عن أمجادهم ومُلكهم الّذي سـيضـيع منهم، وكيف سـينقلبون من بعد عزّ إلى أذلّة، ولهذا راح النّاس يهتفون بِاسمه وينادون بالثّورة، فخلع عبد الله بن جهور الطّوق الّذي في عنقه وألبسه إيّاه وبايعه أن يكون قائدا عامّا وسلطانا، وأصبح عبد الله بن جهور وزيرا له، وعيّن لكلّ منطقة قائدا، لقد كان فرناندو سـعيدا وهو يحكي تفاصـيل خطّة اِبن أميّة لتحرير غرناطة والسّـيطرة على البشـرات وأجوارها، وكيف اِشتعل غيظ الإسبان وراحوا يقتلون كلّ موريسكيّ يجدونه أمامهم، ويسبون النّساء ويأخذون الأطفال، غير أنّ هذا لم يُضعِف الثّوّار، بل أخذوا يقاومون وينصبون الكمائن رغم كثرة العدوّ وضخامة عدّته، فكانت الأخبار قد وصلت بِانتصارات اِبن أميّة لملك إسبانيا فيليب الثّاني، فاِنتفض وعزم على قيادة الجيش الإسبانيّ بنفسه، ولكنّه تراجع وأصـــدر قرارا لتولية أخيه قائدا عامّا على جيوشـــه في غرناطة؛ حيث عمل على تهجير أهل البيازين وكلّ الموريسكيّين في غرناطة، واِستمرّت حرب الكمائن، وكان الموريسكيّون يحقّقون الاِنتصار بِاستمرار، فقد كان الصّراع شديدا يائسا؛ لأنّ المعركة كانت آخر معركة لهم في آخر مكان يقفون فيه (السّرجاني، 2021)، إلى أن قُتل عبد الله بن جهور، الّذي كان مشرفا عليها، والمعروف بحنكته في إدارة الحرب، ولهذا راحوا يبحثون عن قائد للجيش، فأصدر اِبن أميّة قراره بأن يكون القائد محمّد بن عبّو، وهو الّذي توجّه في هذا الوقت لِاستقبال السّفن الجزائريّة الّتي تحمل الدّعم لثورتهم من أسلحة ومتطوّعين، ثمّ كانت الفرصة ليلتقيَ محمّد بن عبد الله بن جهور بالسّلطان محمّد، وكان هذا الأخير فرِحا مسـرورا به؛ حيث خاطبه قائلا: «أنت محمّد؟ إنّ أباك ما زال يأتيني في منامي ليوصـيني بك خيرا، ولو لم تأتنا لأرسـلنا في إحضـارك»، ثمّ سـخّره ليكون كاتبا له، وكان ملازِما له في كلّ خطواته ... واِسـتمرّت الأحداث واِسـتمرّ السّـفّاحون الإسبان بتقتيل وتعذيب الموريسـكيّين لِيَدُلُّوهُمْ على مكان السّـلطان، لقد صـار الموت يحيط بالثّوّار الّذين فقدوا أهاليهم، ممّا أضعف قوّتهم فحزن فرناندو ولم يكن على حزن زوجته وضياع جنينها فحسب، بل لأجل ما حدث مع زهراء في طريقها إلى قشتالة، حين سألته عن زوجة السّلطان واِبنهما، فقال: قُتلوا مع من قُتِلَ، لقد نجا السّلطان اِبن عبّو من بين كومة من الجثث الّتي صارت تنبعث منها روائح كريهة.

بعدها قُتل السّلطان اِبن أميّة على يد رجاله الّذين اِختلفوا معه بسبب المؤامرات والدّسائس، فاِنتشرت الفتنة بين القوّات، واِنتهى الأمر بِانتخاب اِبن عبّو أميرا بعد تفاوض واِختلاف في الرّؤى، ولهذا عمد إلى تنظيم جيش من عشرة آلاف رجل الّذين اِستطاعوا قنص مدينة أرجب، واِستطاعوا أن يكسبوا ثقة الثّوّار، وتمكّنوا من إقامة تحالف مع الجزائر، تونس والأتراك، ولكنّ الأمور اِنقلبت؛ حيث اِشتدّت قوّة الإسبان وزاد عنادهم وشدّتهم، فزحفوا على صيروم وحصلوا على نجولة وبرشانة وكنتورية وتهالي، ووصلوا إلى سهل البدول في البشرات الّتي حاصروها (موسى، 2015، صفحة 181) وأضعفوا من عزيمة الثّوّار، ويوما بعد يوم صارت النّجاة حلما صعب المنال، وهذا ما زاد من الاِختلاف، بين داعٍ إلى الاِستسلام من أمثال القائد الحبقي، وآخر داعٍ إلى الصّمود، والّذي يرى أنّ الموت أشرف من الحياة بلا دين ولا أهل ولا وطن، فالموت أشرف من كأس الذّلّ الّتي يريدون تجرّعها، وهذا ما قاله اِبن عبّو (موسى، 2015، صفحة 206)، الّذي يرفض المفاوضات ويُصرّ على القتال، فبعد موافقة الحبقي على التّفاوض، عاد ليسلّم صكّ الاِستسلام لاِبن عبّو، ولكنّ هذا الأخير ثار في وجهه غاضبا رافضا لما جاء به، وهو ما دفع بـــ الحبقي إلى الحضور بعد أيّام برفقة مجموعة من القشتاليّين، الّذين تسلّلوا إلى كهف الأمير واِشتبكوا مع الحرس، واِنتهت المواجهة بأسر الحبقي، وفجأة ظهر كونسالفو الشّنيش مع رجاله، والّذي قتل اِبن عبّو بعد إقناعه بِانضمامه للحرس الشّخصيّ له، وكان موته صدمة للجميع، فلم يعُد الثّوّار يتخيّلون أنّ بمقدورهم الصّمود، وسارع الإسبان يطالبون بالتّفاوض ويضعون الشّروط لذلك، وصارت منطقة البشرات قصّة حرب خاسرة، واِشتعل فتيل الخيانة، فقد نزل الشّنيش ورجاله على فرناندو يطلب منه تسليم سلاحه بدعم من الإسبان، وراح الأخير يقاتله، وقد علم منه أنّه هو من قتل اِبن عبّو، لكنّه اِستجمع قواه وقضى عليه، وحاول أن ينقضّ على من معه، ووضع خطّة للاِنسحاب والاِختفاء، ولكنّ الإسبان كانوا قد سدّوا عليه كلّ المسالك والطّرق الّتي دلّهم عليها الشّنيش، وسقط الجميع في قبضة الإسبان وكُبِّلُوا بالسّلاسل وخلفهم جثّة اِبن عبّو الّذي مات صامدا، وكأنّي بلسان حاله يقول: «خذوا الجثّة، فقد نجوت بكبريائي»، واِرتفعت الأناشيد والموسيقى والهتافات، وأشير إليهم بالإعدام بداية بجثّة اِبن عبّو، واِرتفع بكاء الأطفال والنّسوة واِمتلأت العيون بالخوف وحلّق الموت فوق الرّؤوس، إنّها مشاهد تعكس لنا صورة الموريسكيّ الصّامد، الّذي أراد أن يتشبّث بدينه وأرضه حتّى النَّفَسِ الأخير، فلم يأبه لألحان الموت وهي تخترق مسامعه في كلّ لحظة، ولم يضعف أمام عدوّ كثير العُدّة والعدد، ولولا الخيانة والغدر لكُتِبَ له تاريخ آخر يحفل بالبطولة والمجد الّذي عهدهما في كلّ مسلم منذ أن وطئت قدمه شبه الجزيرة الإيبيريّة.

2.4 الموريسكيّ الباحث عن أمجاده:

لم يستطع الزّمن أن يطوي تاريخ أمّة عظيمة صنعت الحضارة الإسلاميّة الّتي ألقت بظلالها على مختلف الأمم، ولم يستطع التّاريخ أن يكتم نَفَسَ الموريسكيّين وآهاتهم وصيحاتهم المتتالية، المشحونة بالألم والمتشبّعة بالأمل الّذي أيقظ فيهم الحنين والشّوق إلى الماضي، فأثمر ذلك الإحساس أصواتا موريسكيّة تنادي من هنا وهناك، مطالبة إسبانيا بالاِعتذار لكلّ مسلم أندلسيّ كخطوة أولى، مثلما فعلت مع اليهود السّفارديم عام 1992 بمناسبة مرور 500 عام على سقوط غرناطة، وقد علّق الباحث والإعلاميّ المغربيّ نبيل دريوش على هذا الحدث بأنّه «مجرّد قضيّة تخضع

للعبة الحسابات والمصالح أكثر منها تصفية لإرث تاريخيّ» (الموريسكيّون ... مأساة شعب تعرّض للتّعذيب والطّرد بعد سقوط الأندلس، 2015).

فاليهود اليوم متحكّمون في دواليب القرارات الدّوليّة وبعض الشّركات العالميّة الكبرى، ولهذا تعاملت إسبانيا مع ملفّهم التّاريخيّ من باب المصلحة فحسب، وليس من باب الإحساس بواجب تصفية إرث تاريخيّ إرتبط بحقبة تاريخيّة مظلمة، في الوقت الّذي لم تفتح فيه ملفّ الموريسكيّين المسلمين المتزايدين بإستمرار، والمقيمين خاصّة في المغرب والجزائر، بل إنّها لم تتطرّق لكلّ ما له صلة بهم، وكأنّما تخشى على نفسها منهم، ولهذا دعت مؤسّسة "ذاكرة الأندلسيّين" المغربيّة حكومة إسبانيا إلى الإعتراف القانونيّ بأحفاد الموريسكيّين؛ حيث وجّهت المؤسّسة رسالة إلى رئيس الحكومة الإسبانيّة بيدرو سانشيز بيريز كاستخون، دعته فيها إلى «الإعتراف القانونيّ والرّمزيّ بأحفاد الموريسكيّين الأندلسيّين، على غرار ما تمّ الإعتراف به لأحفاد السّافرديم وغيرهم من الفئات ذات الرّوابط التّاريخيّة مع إسبانيا» (مؤسّسة مغربيّة تطالب إسبانيا بالإعتراف القانونيّ بأحفاد الموريسكيّين، 2020)، فهذه الأجيال المتتالية لازالت تبحث عن الإستقرار وتطالب بحقوقها، وفي مقدّمتها الحصول على الجنسيّة الإسبانيّة والتّعامل مع الشّتات الموريسكيّ بنفس المعاملة الّتي حظي بها يهود السّفارديم بعد الإعتراف الإسبانيّ القانونيّ والرّمزيّ بهم.

فبعد طرد الموريسكيّين وتهجيرهم وإبعادهم عن أرضهم بالقوّة – وبالرّغم من مرور سنوات طويلة على ذلك – لازال الشّوق والحنين يغالبهم ويشدّهم إلى مرابعهم الّتي نشؤا فوقها، فإمتزجت أرواحهم بكلّ ما إحتوتها، وظلّ الإلتفات إلى الماضي مستمرّا، والذّاكرة مشتعلة بوقود الذّكريات الّتي لا تنطفئ، وظلّت الأصوات تتعالى بإستمرار، تطالب بردّ الإعتبار التّاريخيّ للموريسكيّين، وقد تردّدت هذه الأصوات في هذا العمل الرّوائيّ، فلقد صرّح صبحي موسى في أحد حواراته أنّه يقصد من خلال هذا العمل الرّوائيّ الإنضمام إلى من يُطالِب الإسبان بالإعتذار للموريسكيّين المسلمين ومنحهم الجنسيّة الإسبانيّة كما فعلوا تماما مع اليهود السّفارديم، ويتجلّى ذلك من خلال نضال مراد – بطل الرّواية – من أجل إسترجاع مجد الموريسكيّين، وإنتهت الرّواية بحجز مقعد له في مؤتمر عامّ للموريسكيّين للمطالبة بالإعتذار والجنسيّة الإسبانيّة، وهذا بعد أن أصبح مسؤولا عنهم، فقد كُتِبَتْ وثيقة العمادة بإسمه.

لقد توالت الأحداث وجاء اليوم الّذي فتح باب شقّته وجلس على كرسيّه يتابع الأحداث، كانت راشيل – هذه الفتاة القريبة منه، والّتي كانت تعمل في وكالة إخباريّة، وكانت هي الأخرى من أصل موريسكيّ – تتحدّث عبر الشّاشة من بلد عربيّ عن الشّرعيّة وصناديق الإنتخاب، ظهرت على الشّاشة وهي ترتدي الحجاب «وتُلقي كلمات ناريّة، كما لو أنّها خطيب على منبر كبير، فإبتسم من تغيّر الأحوال وزادت إبتسامته حين فتح بريده الإلكترونيّ فوجد رسالة بموعد مؤتمر الموريسكيّين، وأنّ كلّ ما عليه أن يملأ إستمارة التّعريف بشجرة العائلة، فملأها وبضغطة واحدة على زرّ لوحة المفاتيح حجز مكانه بين الحضور» (موسى، 2015، صفحة 293)، فالموريسكيّون أحقّ بالإعتذار والجنسيّة الإسبانيّة من اليهود؛ وهذا لأنّهم يفوقونهم عددا، فلم يقتصر شتاتهم على بلدان المغرب العربيّ، ولكنّهم إنتشروا في الكثير من المناطق الأخرى كمصر والشّام وتركيا وألمانيا وفرنسا وحتّى العالم الجديد وأمريكا اللّاتينيّة. ولقد تحدّث عن هذا الشّتات المؤرّخ "كلاوديو سانشيث ألبرنوث" في كتابه "إسبانيا الإسلامية" (حمّادي، 1989، صفحة 27).

ونوّه صـبحي موسـى في حواره أنّنا مُطالَبون جميعا بالإعتذار لهذه الجماعة البشـريّة الّتي ظُلمت مرّتيْن، الأولى في الشّـمال، حينما كانت خاضـعة للحكم الإسـبانيّ، وما عاشـته من جحيم على يد محاكم التّفتيش الّتي كانت تطاردها وتفتّش في صدرها عن الإسلام لِتَمْحُوَ كلّ أثر له، أو تسحقها فتغادر الحياة، أمّا الثّانية فحين جاءت إلى بلدان المغرب العربيّ، فَاتُّهِمَتْ في إسلامها مثلما كانت مُتَّهَمَةً في الشّمال بمسيحيّتها، هذه الجماعة البشريّة يجب الإعتذار لها تاريخيّا من قِبَلِ العالم أجمع عبر يوم أو عيد نتذكّر فيه الموريسكيّ، كي لا نكرّرها في أيّ مكان آخر مع أيّ إنسان آخر، حين يحدث ذلك، ستكون البشريّة تعلّمت قيمة جديدة، وسنّت سنّة جديدة في تاريخ جديد.

ومن هذا المنطلق، يمكن إعتبار أنّ هذه الشّخصيّة أرادت إثبات الذّات الأندلسيّة المشرذمة عبر نطاق من التّاريخ والتّراث، على إعتبار أنّ واقعنا اليوم يرتبط إرتباطا وثيقا بالموروث الثّقافيّ والحضاريّ الضّارب في القدم (سهمي).

5. خاتمة:

وفي الأخير، يمكن القول أنّ قضيّة الموريسكيّين الّتي أثارت اِهتمام الكاتب صبحي موسى وغيره من الأدباء قد تحوّلت إلى مادّة روائيّة، يحاول من خلالها الرّوائيّ اِستقراء التّاريخ وفهمه، اِنطلاقا من متاهات خاصّة، في ظلّ تغيّر المواقف والرّؤى والأحداث، لا سيما مع التحول الّذي شهدته الأندلس بعد سقوطها من يد المسلمين، حيث أصبحت موطنا للصراع واللّاتعايش، لتفرز محنة لازالت آثارها سارية المفعول إلى يومنا هذا، وهي محنة المورسكيين.

ومن خلال هذه الدّراسة وصلنا إلى النّتائج التّالية:

- تحرّكت أحداث هذه الرّواية – الصادرة حديثا عن الدّار المصرية اللبنانية في القاهرة – في خطّيْن متوازييْن من السّرد، يستجيبان لصيرورة الحياة، مادامت الحياة صيرورة على حدّ تعبير "مولر"، وأنّ السّرد نقل لهذه الصّيرورة، يتلاقح داخله زمن الحياة مع زمن مادّة السّرد وزمن فعل السّرد، وما لعبة الزّمن إلّا التّحكّم في إيقاع السّرد، من تسريع وإبطاء، أو رزم واِستبعاد (ريكور، 2006، صفحة 14).

- يمثّل الخطّ الأوّل الشابّ المصريّ الموريسكيّ "مراد"، والّذي يحاول اِسترجاع حقّه من الحكومة، والمتمثّل في الأوقاف الّتي تركها أجداده، وقد كان حاضرا في ميدان التّحرير، شاهدا على اِندلاع ثورة 25 يناير 2011 بمصر.

- أمّا الخطّ الثّاني فيمثّل ما حدث للموريسكيّين في الأندلس، وما تعرضوا له من تعذيب دفع بهم للقيام بـ "ثورة البشرات"، وكيف بقيت شخصية "عبد الله بن جهور" العين الرّاعية الّتي تحرص أحفادها الموريسكيين، والّتي تحظى بالقداسة وقراءة الغيب.

- شخصيّة الموريسكيّ هي العنصر الأساسيّ في هذا العمل الرّوائيّ، وهذا لأنّ الشّخصيّة في الرّواية عامّة مكوّن متعدّد الأبعاد؛ حيث يمكن مقارنتها من جهة أفعالها وإسهاماتها في تطوّر مسار الأحداث، ومن جهة خصوصيّتها الّتي تحدّد علاقاتها بباقي الشّخصيّات الأخرى (وازيدي، 2017، صفحة 75).

- أُطلِق لفظ "الموريسكيّين" على أهل الأندلس، الّذين وقع عليهم قرار التّنصير الإجباريّ بعد سقوط غرناطة، آخر دويلات المسلمين بالأندلس، فاِستمرّوا مدافعين عن دينهم واِنتمائهم، حتّى طُردوا وهُجّروا قسرا.

- أصدر الملكان الكاثوليكيّان إيزابيلّا وفرديناند قرارا مَلَكيّا عام 1499، يقضي بتنصير كلّ من على أرض المملكة، وحرق كلّ الكتب العربيّة، ومنع المسلمين من اِرتداء الزّيّ العربيّ والتّحدّث بالعربيّة والتّسمية بالأسماء العربيّة، ومع قرار التّنصير الإجباريّ أصبحت كلمة "موريسكيّ" بمعنى "نصرانيّ جديد".

- كشفت لنا رواية "الموريسكيّ الأخير" عن مذكّرات الجدّ محمّد بن عبد الله بن جهور، الّذي عايش التّهجير في الأندلس، ومحاولة الموريسكيّين القيام بالثّورة للإِحتفاظ بحقوقهم.

مثّلت لنا الرّواية شخصيّة الموريسكيّ في صور متعدّدة:

- الموريسكيّ المضطهَد، الّذي تعرّض لألوان التّعذيب على يد محاكم التّفتيش، الّتي أرادت أن تمحوَ كلّ أثر إسلاميّ فيه.

- الموريسكيّ المشتّت، التّائه الّذي يطرح إشكاليّة الهويّة، والّتي نجدها حاضرة بشكل كبير عند الأقلّيّة الّتي تعيش في مناخ وظرف سياسيّ مختلف، فالموريسكيّ يعيش أزمة هويّة؛ حيث يتخبّط في متاهة، باحثا عن ذاته ووجوده.

- الموريسكيّ المقاوم، الّذي تمرّد على حملة التّنصير، ورفض كلّ أشكال الظّلم والذّلّ والإِضطهاد المسيحيّ؛ حيث إِنتفض ثائرا، صانعا ملاحم بطوليّة، والّتي منها "ثورة البشرات".

- الموريسكيّ الباحث عن أمجاده، حيث ظلّت أصوات الموريسكيّين تتعالى عبر مختلف الأزمنة والأمكنة الّتي تشتّتت فيها، مطالبة بحقّها في الإِعتذار والحصول على الجنسيّة الإسبانيّة، والإِعتراف بإرثها التّاريخيّ، ودورها الحضاريّ.

- يؤكّد هذا العمل على أهمّيّة الشّخصيّة، ودورها في العمل الرّوائيّ، فهي الشّيء الّذي تستميز به الأعمال السّرديّة عن أجناس الأدب الأخرى أساسا (مرتاض، 1998، صفحة 90). ولا أحد من المكوّنات السّرديّة يقتدر على ما تقتدر عليه الشّخصيّة؛ حيث إِستطاعت شخصيّة الموريسكيّ أن تختصر لنا تاريخا بأكمله، تمثّل في مرحلة ما بعد سقوط الأندلس إلى يومنا الحاليّ.

وفي الأخير، يمكن القول أنّ رواية "الموريسكيّ الأخير" إِستطاعت أن تحرّك ذاكرة المجتمع الإسلاميّ، وأن تُثير الكثير من القضايا المرتبطة بالموريسكيّين، وخاصّة أزمة الهويّة، وما تعيشه هذه الفئة من شرخ، بالرّغم من مكانتها التّاريخيّة، فكانت المتاهة في هذا العمل الرّوائيّ سبيلا لقراءة تاريخ العرقيّات المهمّشة والأقلّيّات المسحوقة.

وتبقى هذه الأقلية الّتي أضحت شتاتا في مختلف بقاع العالم، بحاجة الى إعادة النظر في تاريخها، ونفض الغبار عن حقيقتها، وهذا لإنصافها، خاصة بعد الظلم الّذي تعرضت له، وهي الّتي لم تنل حقها من الدراسة التاريخية والأدبية على حد سواء، متجاهلين أنها ذاكرة الأندلس، ومن فقد ذاكرته فقد ماضيه.

6. قائمة المراجع:

(2015)، الموريسكيّون ... مأساة شعب تعرّض للتّعذيب والطّرد بعد سقوط الأندلس،
https://arabic.cnn.com/world/2015/06/20/andaluc%C3%ADa-islam-1492 (consulté le 11/12/2021)

فراحتيّة، آمال، (2016/2015)، الهجرات الأندلسيّة إلى الجزائر: 1492 - 1609، قسم: التّاريخ، كلّيّة العلوم الإنسانيّة والإجتماعيّة، جامعة "محمّد بوضياف"، المسيلة، الجزائر.

أورتيث، أنطونيو دو مينفيث، فانسون، برنارد، (2013)، تاريخ الموريسكيّين: حياة مأساة أقلّيّة، ترجمة: محمّد بناية، هيئة "أبو ظبي" للسّياحة والثّقافة: مشروع "كلمة"، الإمارات العربيّة المتّحدة.

صديقي، بلقاسم، (2017)، هجرة الأندلسيّين إلى بلاد المغاربة: الدّوافع والمراحل - ق: 15 - 17م، المجلّة المغاربيّة للمخطوطات، الجزائر، المجلّد 13، العدد 1، ص- ص: 81 - 117.

ريكور، بول، (2006)، الزّمان والسّرد: التّصوير في السّرد القصصيّ، ترجمة: فلاح رحيم، دار الكتاب الجديد المتّحدة.

عبد الكريم، جمال، (1997)، الموريسكيّون: تاريخهم وأدبهم، مكتبة "نهضة الشّرق"، مصر.

بيريز، جوزيف، (2012)، التّاريخ الوجيز لمحاكم التّفتيش بإسبانيا، ترجمة: مصطفى أمادي، هيئة "أبو ظبي" للسّياحة والثّقافة، الإمارات العربيّة المتّحدة.

وازيدي، حليمة، (2017)، سيميائيّات السّرد الرّوائي: من السّرد إلى الأهواء، منشورات القلم المغربيّ ودار القرويّين، المغرب.

بن الشّريف، خالد، (2015)، هكذا طُرد الأندلسيّون: القصّة الكاملة لطرد أهل الأندلس من ديارهم،
https://www.sasapost.com/the-full-story-of-the-expulsion-of-the-people-of-andalusia(consulté le 18/01/2022)

السّرجاني، راغب، (2021)، ثورات الموريسكيّين،
https://islamstory.com/ar/artical/3409548/%D8%AB%D9%88%D8%B1%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%88%D8%B1%D9%8A%D8%B3%D9%83%D9%8A%D9%8A%D9%86(consulté le 01/02/2022)

سهمي، سعيد، (د. ت)، الرّواية وإشتغال المتخيَّل التّاريخيّ: "سرقسطة" للميلودي شغموم أنموذجا، مجلّة "الأزمنة الحديثة"، الجزائر، العدد 13، ص- ص: 27 - 41.

برجاق، سلام، (2019)، كيف أذابت محاكم التّفتيش أجساد المسلمين،
https://www.aljazeera.net/blogs/2019/4/17/%D9%83%D9%8A%D9%81-%D8%A3%D8%B0%D8%A7%D8%A8%D8%AA-%D9%85%D8%AD%D8%A7%D9%83%D9%85-

%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%81%D8%AA%D9%8A%D8%B4
-%D8%A3%D8%AC%D8%B3%D8%A7%D8%AF(consulté le
20/08/2021)
(2020)، مؤسّسة مغربيّة تطالب إسبانيا بالإعتراف القانونيّ بأحفاد الموريسكيّين،
https://arabic.rt.com/middle_east/1173315-
%D9%85%D8%A4%D8%B3%D8%B3%D8%A9-
%D9%85%D8%BA%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9-
%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B9%D8%AA%D8%B1%D8%A7
%D9%81-
%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%A7%D9%86%D9%88%D9%86%
D9%8A-%D8%A3%D8%AD%D9%81%D8%A7%D8%AF-
/2021)10/08%D8%A7%D9%84%D9%(consulté le
حتامله، محمّد عبده، (1982)، التّهجير القسريّ لمسلمي الأندلس في عهد الملك فيليب الثّاني: 1527 - 1598، الأردن.
حمّادي، عبد الله، (1989)، الموسكيّون ومحاكم التّفتيش في الأندلس: 1492 م - 1616 م، الدّار التّونسيّة للنّشر والمؤسّسة الوطنيّة للكتاب، تونس والجزائر.
قطب، محمّد عليّ، (د. ت)، مذابح وجرائم محاكم التّفتيش في الأندلس، دار القلم، سوريا.
لكحل، سميّة، كرّوم، بومدين، (2008)، ظهور مصطلح الموريسكيّ ومحاولة اِجتثاث الهويّة الإسلاميّة في الأندلس، مجلّة "أنثربولوجيّة الأديان"، الجزائر، المجلّد 14، العدد 21، ص- ص: 118-130 .
مرتاض، عبد المالك، (1998)، في نظريّة الرّواية: بحث في تقنيّات السّرد، عالم المعرفة، المجلس الوطنيّ للثّقافة والفنون والآداب، الكويت.
موسى، صبحي، (2015)، الموريسكيّ الأخير، الدّار المصريّة اللّبنانيّة، مصر.
مبروك، نادية، (2019/2018)، اِستلهام التّراث الموريسكيّ الأندلسيّ في الرّواية الجزائريّة المعاصرة: رواية "البيت الأندلسيّ" لـ "واسيني الأعرج"، قسم: الأدب العربيّ، كلّيّة اللّغة والأدب العربيّ، جامعة تلمسان، الجزائر.